ينتصر وينهزم ، لكنه يحافظ على ايقاع الطبيعة داخل ايقاع دمه . هنا يشمخ الشاعر ويستطيل ، حتى يصبح عنوانا لفصل خاص من فصول اللغة . « انا امضي أعمل بالمواد التي أملك والتي هي انا . اني التهم كل شيء : المشاعر ، المخلوقات ، الكتب ، الاحداث ، المعارك ، لو استطيع لاكلت الارض كلها ولشربت البحر جميعه » .

داخل هذا النزق يضحك الشاعر ، يسكر ، يلتقط النباتات والحيوانات البحرية ، لكنه يكتشف في غمرة هذا الحب ، ان الحياة حين تفصلها البرجوازية على حجم قامتها ، تصبح ضيقة وبحاجة الى تهديم واعادة بناء . هذا هو سر انتمائية اجمل شعراء عصرنا . انهم وهم يرسمون على اوراقهم خريطة ذواتهم ، يكتشفون ان الحدود التي تفرضها البرجوازية على العالم ، تقتل الخيال ، وتحيل الانسان الى سلعة او الى جثة . تفرض الخيار بين السلعة والجثة ، لكن الشاعر يختار شيئا ثالثا ، يختار هدم العالم القديم ، تغييره بالكلمة والممارسة . في نقطة التناقض الداخلي هذه انتجت البرجوازية الغربية اجمل ادبها الحديث ، وانتجت الطبقة النقيض التي ستغير العالم . هكذا يصبح الاختيار الثالث انتماء طبقيا وسياسيا ، ويصبح الشعر في اكثر لحظاته فردية نشيدا جماعيا لعالم يولد من الانقاض . ما نقوله هنا لا علاقة له بالبرامج السياسية او بالظروف المرحلية ، انه يرتبط فقط بالاختيار التاريخي الاساسي الذي كان نيرودا شهادة عليه .

« اجيب على سؤال آخر وجهه الي الصحفي . كما فعلت في السنوات الاخرى فانني سأنشر كتابا جديدا في الثلاثمائة وخمسة وستين يوما . انا متأكد من ذلك . اني أداعب الكتاب ، ازعجه ، اكتبه كل يوم .

— ماذا تعالج فيه ؟

ماذا أستطيع أن أجيب ؟ يعالج دوما في كتبي الموضوع نفسه ، دائما اكتب الكتاب ذاته . فليغفر لي أصدقائي ان ليس ما اقدمه لهم في هذه المرة الجديدة في هذه السنة الجديدة الا اشعاري ، الاشعار الجديدة ، الاشعار نفسها . »

بهذه البساطة ، يجيب نيرودا على أكثر الاسئلة الادبية صعوبة . ما هو موضوع الشعر ؟ الموضوع نفسه ، انه الشعر . ان النقد الخارجي الذي يقف بعيدا عن الشعر — الممارسة ، يغرق نفسه في بحث هذه المسألة : موضوع الشعر . فلا علاقة للشعر بمسألة تطرح من خارجه . موضوع الشعر هو الشرارة الخارجية ، الملاحظة البسيطة أحيانا ، التي تشكل عالما داخليا متكاملا . انه شرارة فقط ، لان القصيدة العظيمة هي كل المواضيع دفعة واحدة . لا تتوقف عند التفاصيل الا بوصفها دلالات : تأخذها وتعيد صياغتها في عالم رؤيوي جديد . هكذا لا تكون القصيدة واقعية الا بهذا المعنى . أما التبسيط الواقعي الذي ينتقده نيرودا في مذكراته ، فانه تحويل للشعر الى مجرد مادة دعاوية تستخدم الاوزان ، لتعيد انتاج العالم القديم الذي يفترض بها تغييره من داخله ، واقتراح بدائله . ثم يروي لنا نيرودا ، صفحات جميلة من معاناته الشعرية . وخاصة معاناته مع صغار النقاد . هذه العلاقة التوترية التي عاناها جميع الادباء الكبار ، لانهم احيطوا بعالم قديم لا يفهم ولا يريد أن يقبل موته ، تأتي هنا بلغة تمزج المرارة بالفكاهة . تتوقف عند موت مياكوفسكي الفاجع ، لتكتب أهجية النقد الذي لا يواكب الشعر ويسيء فهمه . « لقد قذفت بنفسي الى الحياة وانا اكثر عريا من آدم لكنني كنت مصمما على المحافظة على طهارة شعري . لم يكن هذا الموقف غير المزحزح نافعا لي فقط بل كذلك اهدف منه ان يردع التافهون الاستهزاء من الشاعر . فكان هؤلاء التافهون ، ان كان لهم قلب وضمير ، يستسلمون امام شعري القيم وما يوقظه فيهم من معان انسانية ، وأما الذين هم اشرار فقد بدأوا يتخوفون مني » . هكذا وبكبرياء الفنان الذي يختزل في لغته طموحات مرحلة شعرية كاملة ، يحل نيرودا هذه المسألة . لا يسقط ولا يستسلم . يكتب شعرا كثيرا ، يمتحن حبه لشعبه بالكتابة ، ولا يسقط أمام اغراءات الخيانة . يقبل جائزة نوبل دون أن يتنازل عن حرف كتبه . ترتفع هامته وهي مجللة بالكلمات ولا تنحني الا لتلتقط حبات تراب الوطن الذي أحب .

غير ان نيرودا ، يحل مسألة جماهيرية الشعر ، بشكل يبدو لنا سريعا ومبالغا فيه . فهو حين يرفض الواقعية ، « اني امقت الواقعية حين يتعلق الامر بالشعر . وأكثر من هذا ليس هناك ما يفرض على الشعر ان يكون فوق الواقعية او تحت الواقعية